

تفسير البحر المحيط

@ 356 @ الزمخشري في قصة إبراهيم وابنه ، وما جرى بينهما من الأقوال والأفعال فصولاً ،
□ أعلم بصحتها ، يوقف عليها في كتابة . وأن مفسرة ، أي { قَدَّ صَدَّ قَتَّ } . وقرأ
زيد ابن علي : وناديناه قد صدقت ، بحذف أن ؛ وقرء : صدقت ، بتخفيف الدال . وقرأ فياض
: الريا ، بكسر الراء والإدغام وتصديق الرؤيا . قال الزمخشري : بذل وسعه وفعل ما يفعل
الذابح من بطحه على شقه وإمرار الشفرة على حلقه ، لكن □ سبحانه جاء بما منع الشفرة أن
تمضي فيه ، وهذا لا يقدر في فعل إبراهيم . ألا ترى أنه لا يسمى عاصياً ولا مفرطاً ؟ بل
يسمى مطيعاً ومجتهداً ، كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الأوداج وأنهرت الدم . وليس هذا من
ورود النسخ على الأمور به قبل الفعل ، ولا قبل أو ان الفعل في شيء ، كما يسبق إلى بعض
الأوهام حتى يشتغل بالكلام فيه . وقال ابن عطية : { قَدَّ صَدَّ قَتَّ } ، يحتمل أن يريد
يقلبك على معنى : كانت عندك رؤياك صادقة حقاً من □ فعلت بحسبها حين آمنت بها ،
واعتقدت صدقها . ويحتمل أن يريد : صدقت بقلبك ما حصل عن الرؤيا في نفسك ، كأنه قال :
قد وفيتها حقها من العمل . انتهى . { إِنْ زَاكَ ذَلِكْ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ } :
تعليل لتحويل ما خولهما □ من الفرج بعد الشدة ، والظفر بالبغية بعد اليأس .
{ إِنْ هَذَا } : أي ما أمر به إبراهيم من ذبح ابنه ، { لَهُوَ الْبِلَاءُ الْمُجْتَبَى }
{ : أي الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون وغيرهم ، أو المحنة البينة الصعوبة التي
لا محنة أصعب منها . { وَفَدَّيْنَاهُ بِذَبْحٍ } ، قال ابن عباس : هو الكبش الذي قربه
هابيل فقبل منه ، وكان يرعى في الجنة حتى فدى به إسماعيل . وقال أيضاً هو والحسن : فدى
بوعلى أهبط عليه من سرو . وقال الجمهور : كبش أبيض أقرن أقنى ، ووصف بالعظم . قال مجاهد
: لأنه متقبل يقيناً . وقال عمرو بن عبيد : لأنه جرت السنة به ، وصار ديناً باقياً إلى
آخر الدهر . وقال الحسن بن الفضل : لأنه كان من عند □ . وقال أبو بكر الوراق : لأنه لم
يكن عن نسل ، بل عن التكوين . وقال ابن عباس ، وابن جبير : عظمت كونه من كباش الجنة ،
رعى فيها أربعين خريفاً . وفي قوله : { وَفَدَّيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ } دليل على أن
إبراهيم لم يذبح ابنه ، وقد فدى . وقالت فرقة : وقع الذبح وقام بعد ذلك . قال ابن عطية
: وهذا كذب صراح . وقالت فرقة : لم ير إبراهيم في منامه الإمرار بالشفرة فقط ، فظن أنه
ذبح مجهز ، فنفذ لذلك . فلما وقع الذي رآه وقع النسخ ، قال : ولا اختلاف ، فإن إبراهيم
عليه السلام ، أمر الشفرة على حلق ابنه فلم تقطع . انتهى . والذي دل عليه القرآن أنه {
وَتَلَّاهُ لِلْجَبِينِ } فقط ، ولم يأت في حديث صحيح أنه أمر الشفرة على حلق ابنه . }

وَتَرَكَنَا عَلَايَهُ { إلى : { الْمُؤْمِنِينَ } ، تقدم تفسير نظيره في آخر قصة نوح ،
قبل قصة إبراهيم هنا ، وقال هنا كذلك دون إنا ، اكتفاء بذكر ذلك قبل وبعد . .
{ وَيَشْرُرْ نَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ } : الظاهر أن هذه بشارة
غير تلك البشارة ، وأن الغلام الحليم المبشر به إبراهيم هو إسماعيل ، وأنه هو الذبيح لا
إسحاق ؛ وهو قول ابن عباس ، وابن عمر ، ومعاوية بن أبي سفيان ، ومحمد بن كعب القرظي ،
والشعبي ، والحسن ، ومجاهد ، وجماعة من التابعين ؛ واستدلوا بظاهرة هذه الآيات وبقوله
عليه السلام : أنا ابن الذبيحين ، وقول الأعرابي له : يا ابن الذبيحين : فتبسم عليه
السلام ، يعني إسماعيل ، وأباه عبد الله . وكان عبد المطلب نذر ذبيح أحد ولده ، فخرج السهم
على عبد الله ، فمنعه أخواله وقالوا له : اهد ابنك بمائة من الإبل ، ففداه بها . وفيما
أوحى الله لموسى في حديث طويل . وأما إسماعيل ، فإنه جاد بدم نفسه . وسأل عمر بن عبد
العزیز يهودياً أسلم عن ذلك فقال : إن يهودياً ليعلم ، لكهنم يحسدونكم معشر العرب ،
وكان قرنا الكبش منوطين في الكعبة . وسأل الأصمعي أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال :
يا أصمعي ، أين عزب عنك عقلك ؟ ومتى كان إسحاق بمكة ؟ وهو الذي بنى البيت مع أبيه ،
والمنحر بمكة ؟ انتهى . ووصفه تعالى بالصبر في قوله : { وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ
وَذَا الْكُرْبُلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ } ،